

# الأطر الفكرية فى شعر شوقى

د. أبو القاسم أحمد رشوان\*

## أولاً : فى شعره الغنائى :

١- عاش شوقى فى عصر كانت الأحداث فيه شديدة الرفع، تضغط على فكره ووجدانه ، كما أن ظروف نشأته الخاصة أحدثت شرخا كبيرا فى توجهاته الحائرة بين إرضاء أولياء نعمته، وتحقيق طموح شعبه، تلك الازدواجية التى كان عليه أن يحدث بينها نوعا من التقارب، يدنو منه حيناً ، ويبتعد عنه حيناً آخر، وعلى الرغم من كل هذا فقد استطاع أن يخط لشعره ثلاثة أطر كبرى يدور فيها ويفتخر منها ، وتمثل هذه المناهل فى : مصر والعروبة والخلافة الإسلامية بشكل عام .

---

\* مدرس بقسم الدراسات الأدبية بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالقيوم .  
والمعار حالياً إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد - باكستان .

١- شغلت الوطنية القسط الأكبر من ديوانه ، وكانت المحور الأول الذى أدار حوله أشعاره، فلا تكاد تخلو قصيدة من إشارة إلى مكرمة ، أو تنويه بفضيلة، أو تفاخر بأثر ، أو تفن بمجد ، وهذه الغلبة المطلقة تجعل محاولة التتبع والرصد ضربا من العبث، كما أن هذا الجانب نال حظا وافرا من عناية الدارسين ؛ لأن مصر فى المعين الذى اغترف منه وصب فيه. لذا سوف يكتفى هذا البحث بالإشارات الدالة إلى بعض استدعاءات شوقى للنموذج المصرى الذى اتخذه مثلا أعلى يقيس عليه ما لدى الآخرين من حضارة وعمران ، أو علم وخلق ، أو رجال وفعال.

١- ٢ فى مجال الموازنة بين حضارة مصر وغيرها تراه يشيد بخلودها وقداستها، ويقابها بقاء الزمن، على حين عفت حضارات أحدث عهدا، لأن الأمة المصرية :

أمة للخلد ما تبنى، إذا ما بنى الناس جميعا للعفاء<sup>(١)</sup>

وما شهدته من خير وأعياد فى المواسم المختلفة لم تنله أمة أخرى فى جنوب شبه الجزيرة أو فى شمالها ، فى فارس أو بغداد أو دمشق ، ومهما أجال المرء النظر فلن يجد غير كتاب حضارة وادى النيل أبدة مشرقة تقبس منها حضارات العالم<sup>(٢)</sup> ، تتمثلها فيما تبنى ، فالقصور شيدت «على مثال الهرم» الخالد الذى نهضت به يد الدهر، وبأريس كأنها طيبة، وجسور اليونان مسالك فرعونية، وهكذا يمضى شوقى فى الموازنة بين حضارة مصر تاريخا وآثارا، حكمة وعلماء، نظما وحكما سلوكا وخلقا، دينا وقيما - وغيرها من الحضارات التى لم تزد عن كونها محاولة لمحاكاة المثل الأعلى<sup>(٣)</sup> حتى رسالة التوحيد نهض بنورها كهان وادى النيل والعرفاء<sup>(٤)</sup> ، لأن ما خلفه الأجداد من آثار ناطق بمجدهم وإن سكت الأحفاد .

أبوة لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعا نطقت صخرا وصوانا

(٢) انظر السابق : ٤٥٥/١ .

(١) ديوانه : ٤٤/١ النهضة المصرية .

(٤) انظر السابق : ٦٠٢ / ١ .

(٣) انظر ديوانه : ٤٧/١ ، ٥٠ ، ١٤٣ ، ٢٣٠ ، ٥٦٦ .

٢- رأينا فيما تقدم كيف كانت الحضارة المصرية أنموذجا أعلى اغترف منه شوقى لا يدانيه لدية إلا الحضارة العربية فى أزهى عصورها ، يفاخر بها الدنيا، ويباهى الأمم كلما تاهت بجديد لها فى بناء الممالك وامتلاك الحياة ، يستل من كنانته العربية ما يخفف به من غناء القوم ، وكانت مملكه سبأ وما بلغت من تقدم وازدهار فى مجالات الزراعة والتجارة والصناعة والهندسة ، والنظم السياسية والمالية والعسكرية والدينية، وما عُرف عن قصورها الشامخة، ومعابدها الضخمة وحدثاتها الشاسعة..<sup>(١)</sup> كانت أنموذجا عربيا يلوح به فى وجه أوروبا من وقت لآخر، فهو يشيد بفرنسا وما حققتة فى مجال الطيران وتملك الفضاء، وكأنها «بلقيس فى أوفى الإماء»<sup>(٢)</sup> كما أن أوروبا كلها أرضا وسماء، ملكا وتملكا لم تعد كونها شيئا من مملكة سبأ فى نضرة أرضها، ومواكب ملكها، وعبيد دولتها<sup>(٣)</sup> .

وشبهتها بلقيس فوق سريرها فى نضرة ومواكب وجوارى

٢-١ : أما العرب المسلمون فإنهم أمة مصطفاة، انتخب الله لهم من البيان أفصح، ومن الخلق أحسنه<sup>(٤)</sup>

الله جل ثناؤه بلسانهم خلق البيان وعلم الأمثالا

وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالى

وقد تجلت هذه المكارم الخلقية فى ممارساتهم الحياتية التى ملئت بالمثل والقيم ، ونماذج العدل والتقوى ، والورع والزهد ، والشجاعة وحسن القيادة، والحق فى السياسة، والصلابة فى الحق، والحلم والعلم ، والوفاء والسخاء<sup>(٥)</sup> وأقاموا دولتهم فى هذا

(١) انظر : سورة سبأ ، الآية ١٥ ، والنمل ٣ ، وصفة جزيرة العرب : ص : ١٧ ، ١٢٠ ، ١٥٢ .

(٢) ديوانه : ٤١ / ١ . (٣) الشوقيات : ٢ / ٣٤ - دار المعارف .

(٤) ديوانه : ٤٩٤ / ١ .

(٥) انظر السابق : ١ / ٣٠٦ ، ٣٩٢ ، ٤٩٣ ، ٦٣٢ ، ٥٥ / ٢ .

الإطار القيمي ، فكانت «كالشمس عرشاً ، والنجوم رجالاً»<sup>(١)</sup> ، وظلت هذه النجوم تضيء الدنيا بنماذجها البشرية التي تقدمت بها للعالم، مهتدياً ومقتدياً ، فلم يكن في الرجال مثلهم<sup>(٢)</sup> .

من فى البرية كالفاروق معدلة ؟ وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم  
وكالإمام إذا ما فض مزدحمًا بمدمع فى مآقى القوم مزدحم  
أو كابن عفان والقرآن فى يده يخضو عليه كما تخضو على الفطم  
وملاً شوقى، فى أماكن كثيرة من ديوانه، أشعاره تغنيا برجال العرب عبد العصور،  
وفى مختلف العلوم والفنون ؛ الخلفاء والوزراء والقواد، الشعراء والكتاب والخطباء، الأئمة  
والعلماء والفلاسفة، أوفياء العرب وكرمائهم وشجعانهم، لا يكاد يدع واحدا منهم ،  
حتى النساء ؛ الشهيرات منهن والمغمورات، وذلك لما عُرف عن بعضهن من العلم  
والفضل والعفة والوفاء وتربية الأبناء ، والإسهام فى تنمية الذوق العام بأغانيهن أو  
أشعارهن<sup>(٣)</sup> .

وحضارة الإسلام تنطق عن مكان المسلمات  
بغداد دار العالمات ومنزل المتأدبات  
ودمشق تحت أمية أم الجوارى النابغات  
ورياض أندلس نمين الهاتفات الشاعرات

٢-٢ : وكانت تماذجه فى شعره الغنائى - فرعونية الحسب ، أو عربية النسب -  
مقتبسة من أزهى العصور، وأكثرها إشراقا ، بخلاف نماذجه فى مآسيه التى تخيرها من  
أشد فترات تاريخنا انحسارا. والنموذجان ؛ العربى والمصرى، يتنافسان فى شعره، لكن

(١) دوان : ٤٩٤/١ . (٢) السابق : ١ / ٦٣٢ . (٣) ديوانه : ٢ / ٢٥ .

حين يتصل الأمر بالإسلام ومشاهير رجاله يشيح شوقى لكل حضارات الدنيا ورجالها ،  
فى روما وأثينا ، ومصر وفارس ، فهو يستثنى ما خلفه أوائل المسلمين وحواضرهم من  
كل قياس (١) .

دع عنك روما وأثينا وما حوتا	كل البواقيت فى بغداد والتوم
وخل كسرى وإيوانا يدل به	هوى على أثر النيران والأيم
واترك رعمسيس ، إن الملك مظهره	فى نهضة العدل لافى نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكرت	دار السلام لها ألفت يد السلم
ما ضارعتها بياننا عند ملتأم	ولا حكنتها قضاء عند مختصم
ولا احتوت فى طراز من قياصرها	على رشيد ومأمون ومعتصم

وشوقى دائما يرفع علم النموذج العربى المصرى كاشفا عن عظمة مصر وقديسية  
أرضها، وحرمة سمائها، ففى سنة ١٩١٤ استقبلت مصر طيارين تركيين، احتفت  
البلاد بهما احتفاء كبيرا، وسعدت سعادة غامرة ، لكنها نشوة مبطنة بجلال العرب ومجد  
المصريين ، وتلقاهما شوقى فيمن تلقى أمرا بتحية النيل والهرم وتعظيم سيناء والحرم،  
وخفض الجناح للأرض التى حملت موسى رضيعا، وعيسى فطيما، وعلمت فنون  
الحرب، وحكم الدهر ، وشرفت بملوك كانت مطاياهم رقاب ملوك الأمم ، خشعت  
لسمائهم الريح، واحتشم الزمن ، كما أمرهم بالوقوف على آثار الحضارة الخالدة التى  
فاقت الجبال ثباتا والقمم شموخا. لقد شرفت مركبتكم هذه باجتيازها الأرض المقدسة،  
والسما المطهرة، وقبيل آثار خف النبى العربى، كما أنها مسحت بالمصلى والمغار المعلى  
فاكتست شرفا وعظما (٢) .

(٢) ديوانه : ١ / ٥٢١ - ٥٢٢ .

(١) السابق : ٦٣١/١ .

يا صاحبي أدرميد حسبها شرفا      أن الرياح إليها ألقت اللجما  
وأنها جاوزت في القدس منطقة      جرى البساط فلم يجتز لها حرما  
مشت على أفق مرالبراق به      فقبلت أثرا للخف مرتسما  
ومسحت بالمصلى ، فاكستت شرفا      وبالمغار المعلي ، فاكستت عظما  
جشمتماها من الأهوال أربعة      الرعد والبرق والإعصار والظلما  
حتى حوتها سماء النيل فانحدرت      كالنسر أعى ، فوافى الوكر ، فاعتصما

لقد اجتازت هذه الطائرة سماوات الشرق؛ مهد الديانات، فلما احتوتها سماء النيل  
خرت ساجدة، وكأنها تقبل الترب إعظاما وإجلالا. وكانت المركبة من صنع أوربي،  
والطائرات آنذاك رمز الحضارة الغربية الحديثة، لذا قابلها شوقي برموز الحضارة الشرقية  
(الهرم، الحرم، القدس، المصلى، المغار، البساط، البراق، محمد، داود، سليمان، موسى،  
عيسى).، ليقول : إنها حضارة مرتبطة بالسماء خالدة خلودها ، على حين لم تتجاوز  
حضارتكم، فى أقصى ما قدر لها من كمال تقبيل آثار خف النبي العربي، وتراب النيل  
المصرى.

ويستمر النموذج الإسلامى ماثلا أمام عيني الشاعر، لايساويه آخر غير عربى،  
فالخليفة التركى كأنه «الفاروق فى كرسيه» أو «على» فى هيئته . وغضبته كغضبة  
المنصور ، وعزه كأنما هارون وابناه عليه قيام «وعروشهم» كأنها عرش «الرشيد» وقوادهم  
كخالد أو على<sup>(١)</sup> .

أما حين يتوجه الخطاب إلى خديوى مصر ومعاصريه فإن الأمر يأخذ مسارا آخر،  
وتصبح مواكب الخديوى «لم يبلغها رمسيس، ولا خطرت فى بال هارون» والمفارقة بين

(١) انظر السابق : ١ / ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٤٠٦ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٥١/٢ .

«لم يبلغها» وقوله: «ولا خطرت» واضحة. وأدباء مصر تدرى رسائلهم بسجع البديع، وتنسى رسائل عبد الحميد<sup>(١)</sup>.

٣- رأينا فيما سبق أن الإطار الإسلامى أحد الاطر التى امتلأ بها شعر شوقى، وكانت تركيباته ضمن هذا الإطار الذى تغنى فيه بكل ما لدى القوم من حياة وأحياء، أناسى وطبورا وحيوانا وطبيعة، حتى كلاب سككهم سخرها لما يريد، ولم يترك شيئا يتصل بهم إلا سجله، مغنيا حيننا، وباكيا حيننا، مادحا مرة، وقادحا أخرى.

٣-١: لم يكن شوقى يناصر الأتراك لأنهم أترك، بل كان يؤازرهم باعتبارهم رمزا لوحدة المسلمين وخلافتهم، لذا اتخذ منهم مواقف متباينة تبين مواقفهم من الخلافة. فحين يحققون شيئا من النصر، ورد غارات المغيرين يهب مهللا ناسيا كل شيء متجاوزا مثله، وما حققته الحضارات الإنسانية فى الشرق أو الغرب، لأن إنجازاتهم لا مثيل لها.

فمثل بناء الترك لم يبين مشرق ومثل باء الترك لم يبين مغرب<sup>(٢)</sup>

ويشدو بأمجادهم وانتصاراتهم، ومعاركهم التى تركت الجبال شيبا من هول ما شهدت، وصدق دعوتهم، وعظيم أمنهم، وشدة هيبتهم، ناعتا آل عثمان بالنجوم مرة، والأقمار أخرى، والشموس ثالثة، فهم مستقبل الإسلام والمسلمين.

أنتم غد الملك والإسلام لا برحا منكم بخير غد فى المجد مبتسم<sup>(٣)</sup>

ويطيل الوقوف عند نجمهم الأسعد الذى يفيض خيرا، ويحى موات الأرض، وملكهم أعظم، ومجدهم الأخلد، وسيفهم الأصدق الذى لا يخلف وعدا، يعلى الحق، وينصر الدين، ويحمل خطابهم إلى الدنيا بأفصح بيان، وأثبت جنان، مخاطبا قلوب الناس، كما يحاور أجسادهم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ديوانه: ٢ / ٤٠٩، ٤٣٩، ٤٨١. (٢) ديوانه: ١ / ٢٨٤.

(٣) السابق: ١ / ٣٩٨. (٤) ديوانه: ٣٧٨.

٣-٢: ويستفتح بحمد الخليفة، كما يتدى بحمد الله، ويقسم بالبيت العثماني،  
كما يقسم بالله ورسله:

بحمد الله رب العالمين وحمدك يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>

ولا والله والرسل الكرام وبيتك خير بيت فى الأنام<sup>(٢)</sup>

وتلك مبالغة تتجاوز بها ما ألفناه من أنه لا يفضل على البيت المصرى، أو العربى بيتا  
آخر، فكثيرا ما ينسى شوقى توجهه العام ، وبخاصة حين يكون الرمز مستهدفا كمحاولة  
اغتيال عبد الحميد الذى يرى الشاعر أن فى نجاته نجاة للدين ، وبقاء للكتاب والسنة،  
لذا فهو محفوظ مثلهم ، لا يلحقه أذى ، قد أخذ على الأقدار عهدا وموثقا، وكأنما  
عصم نفسه من الناس.

أخذت على الأقدار عهد وموثقا فليست الذى ترقى إليه أذاة<sup>(٣)</sup>

لقد تداعت الموجودات لما أصاب السلطان، وزلزلت الأرض وما عليها ، فسعت إليه  
المقدسات شاكرة، والصلوات مهتثة ، والأرض خاشعة تبسط راح التوبة، وتمد يد المغفرة،  
كما أن جراح المصابين نطقت مادحة، وأجساد القتلى نهضت داعية ، فما مات قوم  
فى سبيلك ماتوا، لأنك بنيت مجدا لم يشيده أحد، وقلت قولا لم يقله غيرك، وفعلت  
فعلا حارت فيه أفهام البشر، فسأئل بعضهم بعضا<sup>(٤)</sup> .

يسأل عندها الناس هل فى الناس ذو المقلة التى لا تنام

أم من الناس بعد من قوله وحى كريم وفعله إلهام

صدق الخلق أنت هذا وهذا يا عظيم ما جازه إعظام

(٢) السابق : ١ / ٤٠٣ .

(١) ديوانه : ١ / ٤٠٢ .

(٤) ديوانه : ١ / ٥٣٦ .

(٣) ديوانه : ١ / ٤٣٢ .



٣-٣ لم يكن شوقى متخذاً من الأتراك وعاء فكريا يغترف منه باعتبارهم أتراكا يمت إليهم بسبب من أسباب القرى، بل كانوا يمثلون لديه رمزا من أهم رموز الإسلام، فلما ضعفت خلافتهم، وهان أمرها، وافتقد المسلمون الرجاء فى القائمين عليها، ازور شوقى عنهم، يقبل حين يبدو أمل باعتبارهم مشروعا إسلاميا كبيرا ينتظم الأمة، ويدبر حين يتعد القوم عن إطار هذا المشروع ومحتواه القيمى، وممارساته الحياتية فى الشورى والعدل، وتأمين الناس فى حياتهم ومعاشهم، فإذا فرط الترك فى شىء من ذلك تقطعت الأواصر بينهم وبينه، وانبرى يكشف سوء الحال، وزيف الادعاء، وضعف الهمم، وفساد الذمم. من مثله قوله: (١).

وكلابها فى مأمن، فاعجب لها أمن الكلاب بها، وخاف الناس

لقد اهترأت خلافة الترك، ولم تعد قادرة على توفير أبسط مقومات الحياة لرعاياها وصارت لعبة فى أيدي الموالى الذين عاثوا فى الناس فسادا، وانتزعوا أقواتهم من أفواههم فضيح المسلمون فى كل مكان والخليفة «آلة صماء» ارتضى الديانا، وآثر السلامة، فلم يعد له هم غير الحرص على كرسيه، وما يوجد به ولاية الأقاليم (٢) :

حكمت دولة الجراكس عنهم	وهى فى الدهر دولة عسراء
واستبدت بالأمر منهم، فباشا	الترك فى مصر آلة صماء
يأخذ المال من مواعيد ماكا	نوا لها منجزين فهى هباء
فيدارى ليعصم الغد منهم	والمدارة حكمة ودهاء

وعلى الرغم من كل هذا فإن الخلافة ظلت فى وجدانه رمزا كبيرا يجب الحرص

(١) السابق : ١ / ١١٢.

(٢) ديوانه : ١ / ١٨٨.

عليه والاستمساك به، لا ينبغي التفريط فيه ، فهو لم يكن راغبا فى انفرط عقدھا، وانفضاض مصر أو غيرها عن منظومتھا ، لذلك حين ألغيت ، وفرت الأيام دعائها كان شوقى من أشد الناس حزنا على خلافته التى ضجت لسقوطها المناير والمآذن والصلوات، وخرجت نائحة نادية فى كل بلاد المسلمين ، تسب الجمعية الوطنية ورجالها ، تؤلب عليهم الإسلام والمسلمين ، كما خرجت إيان الردة تلعن «مسيلمة» و«سجاح»<sup>(١)</sup>

ضجت عليك مآذن ، ومنابر وبكت عليك ممالك ، ونواح

بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث بالشرع، عريد القضاء وقاح

فهو معتنق الخلافة ، ملتزم قضاياھا، ومن حقه أن يعتقد ما يشاء ، وفى إطار التزامه هذا ظل ينافح عنها، ويدافع عما يعتقد، مهاجما كل من تخلوا عنها وانضموا إلى أعدائها، أو دعو لأنفسهم بها، تركا كانوا، أو عربا<sup>(٢)</sup> .

٣-٤: كان شوقى - كما مر - مستمسكا بالخلافة، يراها العقد الكبير الذى ينتظم حياة العرب والمسلمين ، فى فترة غلبت فيها الانتماءات ، فذهب كل فريق يبحث عن هوية، وكانت التوجهات المطروحة آنذاك الوطنية أوالعروبة، أو الخلافة التركية، وكان شوقى ، مع آخرين ، يناصر هذا التوجه الأخير، كما كان يرى أن هذه الأطر الثلاثة لا تعارض بينها ، فهو مصرى عربى مسلم، وبهذا الترتيب رتب أولوياته، فهو مع الأتراك شريطة ألا تضار وطنيته ، ولا تنزوى عرويته، فإذا أضيرت مصر شحذ همته، واستل عزيمته، وتوجه إلى الترك مستجديا حيناً ، ومؤنبا حيناً ، ومهددا حيناً آخر، سالكا كل سبيل يحقق شيئا لبلاده<sup>(٣)</sup> :

(١) انظر السابق : ١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٣١ .

(٣) السابق : ١ / ٥٣٩-٥٤٠ .

والى السيد الخليفة نشكوا جور دهر أحراره ظلام  
وعدوها لنا وعودا كبارا هل رأيت القرى علاها الجهام  
فارفع الصوت إنها هى مصر وارفع الصوت إنها الأهرام  
من يرد حقه فللحق أنصار كثير وفى الزمان كرام  
لا تروقن نومه الحق للباغى ، فللحق هبة وانتقام

فهو يطلب بشدة، ويلج فى الطلب، ويتشفع ليستدر عطف السيد، وهو لا يبنى بالسيادة هنا تعظيما أو تشريفا، إنما يرمى إلى أن العلاقة بينه وبين رعاياه المسلمين أصبحت علاقة السيد بعبيدة، والكريم لا يظلم عبده، كما أن المسلم لا يكون كذلك ، فقد قنن الإسلام هذه العلاقة منذ أن افلك أبو بكر بلالا من ظلم أمية. كما أن الموسيقى الهادئة التى صاحبت الشطراول، والعاطفة الميتة توحى بما فى هذا التعبير من سخريه فى عرف المصريين حين ينعت الظالم بالسيد . ولا أظن كذلك أن شوقى طلب من هذا السيد أن يرفع صوته مطالبا بحقوق المصريين فهى فى قبضته ، فلمن يرفع صوته ؟ وربما قصد «فارفع السوط» ثم احتاط لنفسه، وهو ما يتفق مع السيادة والحرية والعبودية.

وشوقى لا يستجدى عطفا بل ينتزع حقا، وما هو بالهين فى طلبه ، فسيف مصر لا يقل عن سيف الترك، ونصرهم لها «مثلما ينصر الحسام الحسام» وهى على الرغم مما لحقها من جور بين ، ووعد كاذب ، وتقييد حريتها ، وسلب استقلالها فإنها متمسكة بالخلافة، لكنها لا تستطيع أن تصبر أكثر مما صبرت، فقد ملت الأجساد وعافت الأرواح الظلم وهضم الحقوق. ولصاحب الحق أنصار كرام، كما أن له «هبة وانتقام» لقد بدأ الشعر راجيا، ثم متهما الخلافة بأنها لم تكن سيدا كريما فى معاملة رعاياها، والظلم لا يليق بالأحرار الذى تناسوا، أنها مصر، «أنها الأهرام» وانتهى مهددا باستصراخ النصير ، متواعدا ، بهبة وانتقام .

## ثانيا : فى شعره المسرحى

ألف شوقى عددا من المسرحيات التى اتخذ مادتها الأولية من التاريخ العام لأمته، وانتخب من هذه المادة ما يساعده على إبراز قضاياها، ومن أهمها تحرير الأرض فى كل من مسرحيته كيلوباترا وقمبيز، وهى قضية نحدثنا عنها فى بحث آخر<sup>(١)</sup> وطبيعة الصرع فى هاتين المسرحيتين واضحة، كما أن العلاقات بين الشخصيات بينه، وكذلك التوجه الوطنى ، إن اختلفت وجهات النظر فى توجيه المسار، لذا لا نعيد الحديث هنا عن المنطلق الفكرى الذى انطلق منه شوقى فى مسرحياته المصرية ، لوضوحه من ناحية ، ولأننا عالجنه من ناحية أخرى ، وسوف يقتصر الحديث عن قضايا أشد تعقيدا، وأكثر تشابكا ، لتباين الشخصيات فيها تباينا حادا، ولشدة خصوصية الأفكاد التى تضمنتها بعض مسرحياته.

وإذا كانت قضية التحرير هى التى شغلت شوقى فى كيلوباترا وقمبيز، فإن قضايا أكثر حساسية أضيفت إلى مسرحياته التى اتخذ مادتها من التاريخ العربى والإسلامى ، وتخير من أحداثه السياسية والاجتماعية ما ينهض بتجسيد الروابط القومية التى ذكر أنها وحدة المكان واللغة والمصير<sup>(٢)</sup> كما أنه شكل هذه المادة تشكيلا فنيا أتاح فرصة التغنى بأمجاد العروبة وقيمها وتراثها وخلقها ، وذلك على لسان أبطاله الذين جعلهم عرب الصفات والفعال والخلق وإن أشعرت الفترة الزمنية التى وجدوا فيها، والأصول البعيدة التى نتحدروا منها أنها ليست كذلك ، إلا أنهم عرب بمقوماتهم الخلقية والنفسية ، وبما يؤمنون به من مثل عليا ، حتى أولئك الذين عاشوا قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة .

فهو مثلا يوقظ «رمسيس» من مرقده ويجعله يتغنى بالعروبة ولغتها ، وفضلها وأمجادها - عن طريق استشراف المستقبل - كما أنه يرحب بدولتهم ترخيبا كبيرا قبل

(١) انظر كتابنا: مصر القديمة فى المسرحية المعاصرة .

(٢) انظر الشوقيات ٢ / ١٥٣ .

أن توجد بعدة قرون (١) وجريان مثل هذا القول على لسان رمسيس - دون غيره - له دلالاته الخاصة، فهو واحد من أعظم قادة العالم القديم ، ومن أكثر ملوك مصر حبا لها ، واعتزازا بها ، كما أن له كثيرا من المواقف الرائعة مع سكان الشام والعراق فى ذلك الزمن الموهل فى القدم ، فحبه لمصر لم يحل بينه وبين الاعتزاز بالعروبة ومجدها لا يتعارض مع الشام أو العراق ، لأنه حب واحد ومجد واحد، ومصير واحد كذلك . وكان شوقى يرد من خلال هذا البطل التاريخى على دعاة التشردم أو التفوق داخل القرى والديساكر والكفور، أو حول المضارب . وهكذا يتلمس المؤلف فى شخصياته التاريخية الفعال والصفات التى تساعد على تحقيق ما يريد.

### شوقى والتاريخ

وشوقى عاشق للتاريخ يرى فيه مصدر إلهامه، وقد جسد هذا الملهم فى التاريخ العام للأمة العربية، سواء منه ما كان قبل الإسلام ، أو تحقق تحت لوائه ، لأن الفهم الصحيح لتاريخنا المشترك يفرض على كل عربى الاعتزاز بكل ما خلفه الشرق العربى ، سواء فى ذلك الحضارة البابلية فى العراق ، أو الفينيقية فى الشام ، أو السبئية فى اليمن، أو حضارة مصر القديمة، أو ما أثر عن الأجداد الأقربين فى شبه الجزيرة، لأن كل هذه الحضارات - التى انصهرت بعد ذلك فى بوتقة واحدة - تمثل التاريخ الحضارى للأمة العربية التى حددت اللغة رقعتها<sup>(٢)</sup> . ومن يستقرئ تاريخ المنطقة العربية منذ القدم وحتى الآن يجده تاريخا مشتركا، فقد كان الأجداد فى العراق والشام ومصر واليمن وشبه الجزيرة يرتبطون بروابط عديدة، ثم جعلهم الإسلام يرون فى هذه الأقاليم وحضاراتها ما يراه أحفادهم اليوم ، وهى أنها أجزاء لتاريخ واحد، وحضارة واحدة، فلم ينظروا قط إلى كل من مصر أو الشام أو العراق نظرة الجار كما كانوا ينظرون إلى فارس والحبشة

(١) شيطان بتاءور : ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) على أحمد باكثير : تجارى فى المسرح ص ٨٥ .

مثلاً<sup>(١)</sup> . ولعل فى ذلك ما يفسر استقرار العروبة عقيدة ولغة والتزاما فى مواطن بعيدة لم ينتكر سكانها يوما للعروبة، كما فعلت شعوب أخرى أقرب مكانا إلى موطن العروبة الأولى.

وبهذا الفهم للتاريخ المشترك، وهذا الربط العضوى بين أقاليم العروبة كتب شوقى أشعاره وقصصه ومسرحياته التى تغنى فيها بأمجاد الأمة وجسد آلامها وآمالها ، وحدد رقعتها ومقوماتها فلم تخل قصيدة مما كتب من التغنى بأمجادها ، والإشادة بمكرمة عربية أو إسلامية، حتى وإن أوهم موضوعها البعد عن ذلك، وهو ما سبقت الإشارة إليه.

أما فى مسرحياته فقد كان المجال أرحب لتشخيص القضايا الكبرى ، قضايا التحرر والوحدة والحرية، وإشكالية الولاء الموزع بين الوطنية والعروبة والإسلام، والتوفيق بين هذه الولاءات، وغير ذلك مما تجده فى مسرحياته ، (عترة، وأميرة الأندلس، ومجنون ليلى، وعلى بك الكبير) وقد أعد شوقى أبطاله فى هذه المسرحيات ليكون كل منهم قادرا- من الناحية الفنية - على تحمل ما ألقى على عاتقه من قضايا، والقيام بأعبائها .

### عبلة الجديدة

ولعل أوضح مثال على ما تقدم تجده فى شخصية «عبلة» التى تختلف صورتها الدرامية اختلافا بينا عن الصورة الموروثة التى تناقلتها كتب الأدب ، أو التاريخ أو الموروث الشعبى ، إذ قوام الشخصية فيها الجمال والحب، وقد اتخذ شوقى من ذلك ظللا لصورة إنسانية أرحب، عمادها توحيد العرب وتحريرهم ، وإقامة دولتهم الكبرى . وهذه مقومات شخصيتها فى مسرحية شوقى التى نسجها من خيوط رقيقة تكاد لدقتها لا ترى فى بادئ الأمر لسيطرة الأبعاد الموروثة عنها وعن علاقتها بابن عمها، تلك العلاقة التى تتباين طبيعتها، وتختلف دوافعها فى المسرحية عما استقر فى أذهان الناس، وقد أشار

---

(١) انظر ابن عبد الحكيم : فتوح مصر : ص ٢٠ .

عنتره نفسه إلى هذه الطبيعة الجديدة فيما يشبه هدم أعمدة معبد الحب المتوارث القائم على ذاتية ضيقة عمادها الجمال الحسى، والإعجاب بشاعرية فيه أو بطله له، وهما أمران تتساوى فيهما عبلة مع غيرها من الناس وقتذاك وحتى اليوم ، وعنتره يرفض أن تكون عبلة واحدة من هؤلاء المعجبين أو المحبين، ويتمنى أن يكون جها له وافتنانها به، لشيء آخر أسمى من عبقرية الحسام ، وسحر البيان<sup>(١)</sup> :

ليت افتنانك لم يكن بشجاعتي وبفضلها

أوليت حبك لم يكن لقصائدي ولنبلها

وهذه رقة فى التعبير غير مألوفة فيم أثر عن عنتره المفاخر ببطولته أبداً، وبشعره دوماً، لكنك تسمعه - هنا- يترجى، ويكرر الترجى أن تلتفت عبلة إلى شيء آخر فيه ، وينعت مقوماته التراثية بما يشبه الثورة عليها، ومثل هذا التواضع، وتلك الرقة لم ترد على لسان فارس العرب وشاعرهم حتى فى أكثر مواقفه تودداً وتقرباً مما يشير إلى أننا أمام شخصية جديدة ، مغايرة من بعض الوجوه، للموروث ، أو قل إن شئت إنه عنتره القرن العشرين عنتره بن أحمد شوقي، لا عنتره بن شداد ، تلك الشخصية التى تذكر دائماً - أنها ما أحببت عبلة لجمالها بل لشيء آخر فوق الحسن والجمال افقده البطل عند من يحطن به من النساء وفيهن من الحسن والأنس والدلال ما قد يربو على ما فيها، ومع ذلك تعلق بها دون غيرها ، وهو لا يدرك سر هذا التعلق ، لذا يتساءل<sup>(٢)</sup> :

أرى الغيد من حولي وفيهن سلوة فما لى أرد القلب عنك فيجمع

فما سرنى منهن ما كان يشتهى ولا راق لى منهن ما كان يملح

وهذا التعبير يشعر بالحالة النفسية التى يمر بها قائله كما هو واضح من قوله «فما لى أرد» كما يشير إلى أن الشخصية فى حالة انعطاف بين ما كانت عليه قبل أن تبدأ

(١) عنتره : ص ٦ . (٢) عنتره : ص ٣٨ .

الأحداث وما هي عليه الآن، وفي تكرار ما كان رفض للماضي ، كما أن في حيرته وتساؤه إرهابا بما سيقع، فهو يحس أن دوافع حبه الوليد مغايرة لما كان يجذبه إلى النساء قبل ذلك ويود أن تكون دوافع الحبيبة أيضا غير ما عرف عنه ، وأحبته الأخريات لأجلة ، لذا تسمعه حين تبدى علة إعجابا ببطولته يصرخ في وجهها<sup>(١)</sup> :

لم لا تعشقين عبل جوادى ؟      لم لا تعشقين عبل حسامى ؟

أو ليسا هما شريكى فى الفتك ،      وضرب الطلى وحصد الهام

فعترة يرفض أن تكون القوة المادية هي الرابط بينهما، لأنها قوة يشاركه فيها الحيوان والجماد، ويكرر رفضه لشاعريته وفروسيته لكنه لا يكشف عما يرمى إليه من صفات أخرى.

أما علة فإنه لا تكاد تبين عن دوافع حبها إلا بقولها إنها تحبه لشيء وتصف هذا الشيء بأنه «كضحي الشمس أو كبدر التمام» ، ويستخدم المؤلف هنا شيئين يستحيل الجمع بينهما، هما الشمس والبدر كما أنه يستعمل من أدوات العطف (أو) التي للتخفيف قصدًا بذلك الإبانة عن حيرتها وقلقها واختلاط الأمر عليها وعلينا.

٢- وما تقدم نرى أن عترة لا يريدنا أن نحبه لشاعرية أو فروسية، وهي تقول : إنها تحبه لشيء آخر شبهته بالشمس أو البدر، ولا يمكن أن يكون هذا الذى تصف له علاقة بالبعد المادى للشخصية الدرامية ، وإلا كان ضربا من السخرية بمن تحب، إذن هو شيء غير ما وصفت يومض فى عقل المشاهد لكنه لا يدرك كنهه إدراكا واضحا فى تلك الفترة المبكرة من حياة الشخصية ، شأنه فى ذلك شأن أية شخصية درامية محكمة البناء لا تكشف عن آخر لبنة فى بنائها إلا مع نزول الستار الأخير، وحين تتقدم الأحداث ويرتفع البناء الدرامى وينساب وميض النور خيطا فشعا متراءى الروابط المشتركة التى

---

(١) عترة : ص ٧٧.



جمعت بينهما متمثلة فى قيم العروبة وآمالها فى التحرر والوحدة، ويلتحم المحبان وقد عشق كل منهما العروبة فى شخص الآخر كما سيأتى بيانه.

وأولى الخطوات على درب التقارب هى طبيعة الصراع الدائر بين عنصرة وبعض القبائل العربية، فقد رأت عبلة أنه يعادى قبائل معينة دون غيرها ، ومضارب هذه القبائل بعيدة عن ديار عيس ، وهى لا تغير على هذه الديار ، فماسر موقف عنصرة منها ؟ : وكانت الإجابة على هذا التساؤل هى الشعلة التى أثارى الدرب ، وحققت الترابط العضوى للبناء الدارمى ، كما فسرت تعلقها به حيث تبين لها أنه لا يعادى إلا القبائل الموالية للفرس أو الرومان يترصدها يقطع عليها طريق ذهابها أو عودتها ليمنع ما كانت تقدمه من أموال للملك الفرس ، فقد هاجم قافلة عربية يقودها حسان الغسانى صوب فارس فيها من الخيل والإبل والأغنام ما يضيق به السهل أو يتغضى الجبل<sup>(١)</sup> كما تقول ام حسان .

تلك الأم التى جعلها شوقى غير راضية عن علاقة ابنها بالفرس، وأثار فى نفسها نوعا من الصراع بين حزنها على مقتل ابنها وعدم رضاها على فعاله وخضوعه للأجنبى وغلب فى نفسها عاطفة العروبة على عاطفة الأمومة حين جعلها تتلمس الأعذار لعنصرة قاتل ابنها، وذلك حين تسأله عبلة من بعث الحرب إذن، ومن جناها؟ فتقول ولدى<sup>(٢)</sup>، وليس فى المسرحية جنابة لهذا الولد إلا علاقته بالفرس ، وتلك جريمة يستحق من أجلها القتل حتى فى رأى الأم نفسها. وقد كان موقف الأم هذا عاملا مهما من العوامل التى أكدت لعبلة سمو رسالتها وصدق دعوتها التى وجدت لها من الواقع أنصارا ومن موقف الأم ما يبرهن على أن إثارة العروبة أمر فطرى، لأن هذه المرأة كرهت، بفطرتها السليمة ، فعال ابنها ومن يتخلق بمثل خلقه، وأحبت بطبيعتها أيضا ما تدعو عبلة إليه من قتال الخارجين عن الأمة الذين يعطون الدنية فى عروتهم ممن يتملقون

---

(١) عنصرة : ص ٧٧ . (٢) عنصرة : ص ٧٧ .

الفرس كحسان الذى وصفته عبلة بأنه<sup>(١)</sup> :

ذليل بباب أنوشروان وعند الخيام العزيز البطل

وتصرخ فى نبي قومها ليجمعوا شتاتهم ويلموا شملهم ويوحدوا كلمتهم ويرصوا صفوفهم ، ويثوروا على هؤلاء الأمراء الذين يتراءون فى صورة غير صورتهم الحقيقية، فهم أتباع وذيل للأجانب ، منهم يستمدون قوتهم ، وباسمهم يتحكمون . وتستتكر على قومها تفرقهم وتشتتهم، وتتساءل فى استنكار شديد<sup>(٢)</sup> .

إلى كم تهيمون تحت النجوم وتفترقون افتراق السبل؟

فنصف قطاع رعتها الذئاب ونصف على البيد فوضى همل

وليس لكن دولة فى الوجود وتسحبكم كالذيول الدول

ألم على حوضكم قيصر وكسرى على جانبيه نزل

ويحكمكم تحت نير الغريب ومهمازه الأدعياء الدخل

هم الأمراء وقد يرتدون بباب الأعاجم ذل النذل

ويستخدم المؤلف هنا - على لسان عبلة - أقسى درجات التقريع والعنف مع قومها الممزقين الذين تتقاسمهم دول الغرب ساعة كتابة هذه المسرحية ، ويسوق من النعوت ما يجعل الناس يخلجون من واقعهم، كقوله : قطاع ، ورعتها ، وفوضى ، وهمل ، وذيل ، ومهماز ، وأدعياء . وليس فى هذ تقليل من قيمة الشعب أوحط من قدره وقدرته، بل هو محاولة من المؤلف لتجسيد العيوب وتضخيم الداء بغية اجتثاثه من جذوره، لأن شوقي عاش فى فترة احتلال لمصر والبلاد العربية، وطغيان النشاط الأجنبى فى البلاد

(٢) عترة : ٧٨

(١) عترة : ص ٧٨ .

وإقرار امتيازات للدخلاء، مع تحكم جبروت الفرد فى حقوق الشعب<sup>(١)</sup> هذا الشعب الذى كان ضحية التسلط والتخلف فى بعض مراحل حياته ، لذا يختار المؤلف من تاريخنا فترات انحسار المد القومى التى تشبه الفترة التى نعيشها من بعض الوجوه السياسية أو الاجتماعية ، لأن ذلك يساعده كثيرا على استخدام كثير من الإسقاطات العصرية التى هى هدفه من بعث الماضى فى ثوب جديد وفهم جديد أيضا لتقويم الواقع ورسم المستقبل.

## الأدواء وأسبابها

وشوقى - كشأنه دائما - يبرز أدواء مجتمعه مقرونة بأسبابها وطرق علاجها ، تلك الأسباب التى حصرها فى تحكم الفرد وغفلة الجماعة ويصف هؤلاء المتحكمين بأنهم أذلياء ودخلاء أذلاء وأنهم دابة بليدة يركبها الأجنبي، وكان هذا الداء سببا فى إضعاف الأمة فى جميع جوانب حياتها ومقوماتها الأمر الذى أدى إلى تخلف الوعى الاجتماعى والحس القومى لدى الجماعة فضاعت معالم البلاد بين عبث الفرد وغفلة الجماعة<sup>(٢)</sup> ويشخص المؤلف هذين الداعين وأسبابهما وطرق علاجهما على لسان شاب قومى أو شخصية من بنات الشعب أو بنيه موهلة فى انتمائها الشعبى عقيدة وفكرا وإيمانا وولاء. ومن خلال شخوصه هذه يدعو إلى الثورة على تخلف الوعى الاجتماعى، وعلى السلطة فى أعلى مستوياتها السياسية، وهذان أمران ينتظمان فكر شوقى وفلسفته ، وقاعدتان راسختان منهما ينطلق وفى رحابهما يحلق ، كما أنهما مفتاحا فهم نتاجه وشخصيته وفكره، وقد سخر المؤلف قلمه لخدمتهما منذ عرف هذا القلم طريقه إلى الكتابة إلى أن غيب فى باطن الأرض. ومن يتتبع مآخظه هذا القلم - عبر رحلته الطويلة - يدرك مدى تشابك هاتين القضيتين عنده وتأثير كل منهما فى الأخرى، فقد ترتب على استبداد

---

(١) غنيمى هلال : فى النقد المسرحى ص ٩١.

(٢) أميرة الأندلس : ص ٧.

السلطان وتسلمته، أو لهوه وغفلته ، إهمال القضايا الكبرى تجاهلا لها أو جهلا بها، وفي طليعتها تربية الفرد والجماعة تربية تخلق لديهم القدرة على تغيير الواقع وتشكيل المستقبل، كما أدى افتقار الناس إلى هذه القدرات إلى الانصراف عن محاسبة المالكين ، وهذا العجز هو السبب فيما عليه الحاكم من استبداد ، ونتيجة - أيضا - لما فيه المحكومون من غفلة.

وكان تشابك هذين العاملين في علاقة حلقة دوار في مسرحية عنتره سببا فيما لقيته دعوة عبلة الرامية إلى توحيد العرب وتحريرهم من العيوب الاجتماعية والسياسية ومن سيطرة الأجنبي وأذيالة من معارضة المتحالفين والمتنفعين . غير أن الكوكب الدرى الذى يشعله شوقى دائما وسط ظلام الواقع المر ممثلا فى عبلة - رمز التوحيد والتحرر- هنا التى استطاعت أن تشرح دعوتها وتبين هدفها كما تقول «أرمى لتحرير العرب»<sup>(١)</sup> من الفرس والرومان الذى استعبدوا العرب وأذلّوهم، وترى أن الطريق لذلك هو التخلص من الأمراء المتحالفين مع الأجنبي ، ثم التفاف العرب جميعا حول بطل نلتقى حوله<sup>(٢)</sup> ؟ وترى أن وجود هذ البطل غير كاف إن لم يواكبه إيقاظ الحس القومى ، وتنبيه الوعى الاجتماعى الذى يفرض ترك النزاعات والحروب الدائرة بين القبائل العربية، كما يأبى الخضوع للأجنبي ، ويدرك خطورة قتال العرب بعضهم بعضا نيابة عن أعداء الأمة . وترك الحروب والخلافات بين العرب قضية ملحة عند شوقى فى أربع من مسرحياته يجريها على ألسنة كثير من شخصياته ، فهو يقول مثلا على لسان المهدي والد ليلى<sup>(٣)</sup> :

دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل

ومن أجل ذلك وقفت عبلة بين القبائل المتجارية تذكر قومها بما بينهم من رحم، ويعلو مكانتهم، وسمو أصولهم، وتعيرهم أيضا بما آل إليه حالهم حين صنعوا من

(٣) مجنون ليلى : ص ٦٩ .

(٢) عنتره - ص ٧٩ .

(١) عنتره : ٣٩ .

أنفسهم مطية للغزاة، ولها نارالفرس . وتقف هاتفه<sup>(١)</sup> :

نحن بنو الشمس والصحارى	مانحن إلا أبناء جنس
لا تخفلوا رستما دعوه	خلوة للفرس يثأروه
لا يقاتل أخا أ خوه	منكم ولا تخذلوا الديارا
حشرتما تحت كل رايه	وأسرجوكم لكل غايه
وسعنمو الملك والولايه	لكل كسرى وكل دارا
قبيلة تحت حكم كسرى	وقيصر الروم دان أخرى
أصبحتمو للغريب جسرا	يركبه كلما أغارا

إلى أن تقول :

يا لخم يا بنى العرب      يا لخم حرمة النسب

فهى تعيد على مسامع القوم ما وصلوا إليه من ترد سياسى وتمزق اجتماعى ،  
وتستخدم من التعابير ما تأباه العروبة فى أدنى مستوياتها كقوله «تخذلوا، حشرتم.  
أسرجوكم. تحت دان جسرا يركبه ، قاصدة تشخيص الواقع بغية الثورة عليه كما تذكر  
من التعابير ما يبعث فى نفوسهم الثقة ويحيى الأمل، فهى تنسبهم إلى الشمس مصدر  
القوة والنور والدفء والحياة ، ورمز العلو والرفعة، وفى لفظ الصحارى ما يشعر بالإفلات  
من كل قيد، كما أفاد صوت القافية المطلقة التحرر وتجاوز المعوقات وعموم الحرية التى  
لا حدود لها ، وهى أمور خليقة بينى العرب حين يصونون حرمة النسب وغير ذلك مما  
فجر الرعى القومى لدى كثير من عامة الأمة الذين هتفوا «لييك لبيك أخت عبس» ،

---

(١) عترة : ص ١١٨ - ١١٩ .

كما لى جماعة من خاصة شبابها، وقد انتخب شوقى «ضرغام» - مناقس عنتره فى حب عبلة ، والذي كانت ترشحه غيبة الوعى الاجتماعى لإحداث مزيد من التفرقة داخل البيت العيسى نفسه - اختاره ممثلا لهذا الصنف من الشباب العربى الواعى التى يؤثر عرويته على ماعداها، ويضحى حتى بحبه فى سبيلها مغلبا واجبه على حبه، استجابة لدعوة التحرر والتوحيد مما جعله يقول عن منافسه<sup>(١)</sup> :

أحسد من لا يعصم البيد غيره إذا زحفت من أرض كسرى الجحافل

أحسد من يرجى لتأليف قومه إذ افتقرت تحت الملوك القبائل

وما ذكر على لسان ضرغام - هنا - بعض مقومات شخصية عنتره عند شوقى ، وهى حماية الأرض العربية من عدوان الفرس ، وتوحيد العرب وتأليف قلوبهم ، وهى خلال من أجلها أحبته عبلة، كما أنها جمعت حوله عددا من شباب الأمة وكثيرا من عامة القوم.

### القوى الفاعلة

وقد وفق المؤلف كثيرا حين اتجه بآماله وطموحاته إلى بعض الشبان وإلى كثير من عامة الأمة الذين لم يذكرهم بأشخاصهم ، بل جعلهم من النكرات المسرحية التى هى من عامة الشعب عادة، كما جعل من قبل أم حسان تلوم ابنها الذى قتله عنتره لتعاونه مع الفرس . فشوقى يعقد آمال الأمة - دائما - على العامة من بينها وبين شبابها، وقد اهتم بهذه الطبقة الشعبية كثيرا فى أميره الأندلس حين جعل للصمصوم يتحملون عبء الدفاع عن البلاد مما جعل ابن عباد يتساءل فيما يشبه تقرير الخاصة وتأييدهم بقوله : «بالله . أكون للصمصوم أو فى للأندلس من أمرائه وفقهائه وقضاته ، وأبذل للأرواح دون لوائه»<sup>(٢)</sup> وربما قصد المؤلف من وراء ذلك الازدراء بهذه الطبقات التى استسلمت

(٢) أميرة الأندلس : ص ١١٥ .

(١) عنتره : ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

للترف والنعيم حتى لانت جلودها واقشعرت عزائمها، والإشارة أيضا إلى اللص الحقيقي سارق حرية الشعوب كبعض أمراء الطوائف الذين تحالفوا مع الأجنيى وأضاعوا ملك العرب وكسروا الجناح الغربى للأمة، وهو أمر ينطبق عليهم وعلى كل من يتخاذل عن نصرة العروبة فى أى وقت من الأوقات ، سواء كانوا أمراء كما فى «أميرة الأندلس»، أو طلاب سلطان كما فى «على بك الكبير» أو زعماء القبائل أصحاب المصلحة الذاتية فى تمزيق الأمة وإضعافها كما فى «عنترة» فهو يجعل عامة الأمة بكل فئاتها وفى أدنى مستوياتها مؤمنة بوحدتها . وتماسكها واستقلالها. غاضبة على السادة والأمراء لارتباطهم بالأجنيى . وفى هذا ما فيه من إسقاطات عصرية كانت قائمة زمن شوقى ولا تزال . كأن التاريخ يعيد نفسه، أليست دويلات اليوم هى قبائل الأمس!.

وما تقدم يمكن القول إن هذه الشخصوس التى قدمها شوقى تمثل فى مجموعها طموحات الأمة وحقيقة تواجدها، وتجسد آمال العامة فى التحرر والسيادة والوحدة والإيمان بالعروبة عقيدة ولاء وتاريخا مشتركامتدا عبر الزمان والمكان ، وفى مقابل ما تمثله شخصيات أخرى من ازدواج فى الولاء وضعف فى الحس القومى ، أو تخلف الوعى الاجتماعى، أو انحراف التوجه السياسى أو ضلاله . وقد اتخذ المؤلف من بعض زعماء القبائل ورؤساء الجماعات فى المشرق وكثير من الأمراء والفقهاء والقضاة فى المغرب ممثلين لهذا الاتجاه الأخير . كما أبرز من خلال شخصيات اصطفاها من هنا أو من هناك ما يحقق الجانب الأول من جوانب أهدافه مستغلا فى ذلك بعض الملامح التاريخية أو الإنسانية فى هذه الشخصية أو تلك ، فقد وظف حروب على بك الكبير وقتاله الترك خارج مصر توظيفاً قومياً، كما تسمى بما أسبغ على عنترة من نعوت وما عرف عنه من فعال إلى أقصى ما يمكن أن يحققه ذلك من كمال فى الحس ورفعة فى المبدأ ورحابة فى التوجه العربى الشامل. ونفذ من خلال الموازنة بين مقومات عنترة التراثية وبعض معاصريه ممن كانوا ينافسونه حب عبله وقد يتفوق عليه بعضهم فى كثير من المقومات الاجتماعية فى ذلك الوقت. نفذ المؤلف إلى تفسير جديد لطبيعة العلاقات

العاطفية، وما فى الطبيعة البشرية ذاتها من إيهام وتعقيد، كما استخدم الرمز الأنثوى فيما يرمز به فى كثير من الأدب الموضوعى إلى مدينة أو دولة أو أمة، لذا اتخذ المؤلف من البناء الدرامى فى شخصية عبلة الجديدة تجسيدا لآمال الأمة فجمع لها من الصفات والفعال ما يجعلك تكاد تخالها العروبة نفسها تمشى على الأرض بكل ما فيها من عزة ومنعة وإباء، يتفانى المخلصون من أبنائها فى إكرامها وتقديرها والذود عنها، وكأنها كعبتهم ومقدساتهم<sup>(١)</sup>.

### حرية الاختيار

كذلك يجعل شوقى من عبلة دائماً حرة مختارة لا سلطان لأحد عليها<sup>(٢)</sup> هى التى تقرر ما تريد وتختار ما تشاء، وحين تختار فإنها تختار أفضل أبناء الأمة للأمة، فقد اختارت عبلة عنترة لا لشاعرية فيه أو فروسية له، فالشعراء والفرسان فى بنى قومه كثير، لكن ليس فيهم من يرجى لخير العرب كعنترة، فهو أمل الأمة ومستقبلها، وهو البطل القومى القادر على توحيد العرب وجمع كلمتهم وقيام دولتهم والوقوف بها فى وجه الفرس والرومان وكأننا بشوقى يصرخ فى حكام الأمة : فكوا قيود الشعب واتركوه يختار وسوف يحسن الاختيار.

وحرية الاختيار عند شوقى سمة كل من يحمل قيمة من قيم العروبة فى أى مستوى من مستوياتها، فهى مقوم من مقومات عبلة كما رأيت، كما أنها ميزة لدى لىلى فى «مجنون لىلى» التى فوض إليها أبوها أمر زواجها بقوله : هوالحكم بالليل ما تحكمين<sup>(٣)</sup> فاختارت «وردا» مغلبة عاطفة العروبة فى جانب من جوانبها، ومضحية بحبها فى سبيل الحفاظ على تماسك الهيكل الاجتماعى للأمة متمثلا فى رعايةالتقاليد. وكذلك كانت الأميرة بثينة حرة مختارة حين طلبها كبير وزراء المرابطين لكنها اختارت واحدا من عامة الشعب العربى جمع بينهما إيمان كل منهما بتوحيد

---

(١) عنترة - ص ١٠٣-١٠٥. (٢) عنترة : ص ٦٦. (٣) مجنون لىلى : ص ٧٤.



العرب وتحررهم وعشق تراث الأمة وهى روابط تشبه من بعض الوجوه ما جمع بين عبلة وعنترة حيث حمل المؤلف الأميرة بثينة رسالة قرية من تلك التى نهضت عبلة بها، فقد كانت تعارض بشدة فقهاء الأندلس رقصاته الذين كانوا يرددون «ألا خلاص للبلاد إلا بالقائما فى أحضان ملوك المغرب»<sup>(١)</sup> كما أنها كانت تدعو إلى جمع كلمة العرب وتوحيد البلاد وإعادة مجدها وضرب الإفرنجية ضربة تريح العرب منهم السنين الطوال<sup>(٢)</sup>.

لقد ضحت عبلة - حرة مختارة - بالتقاليد وبالوالد فى سبيل نبل العواطف، لأن العاطفة التى شجن بها المؤلف هذه الشخصية لم تكن عاطفة خاصة مقفلة على الذات، ولم تكن عواطف أسرية أو قبلية، بل كانت شيئا فوق ذلك كله، لقد كانت عاطفة عربية خالصة، عاطفة العربى فى أعلى مراتبها وأسمى درجاتها وأعظم صورها، هى العاطفة نحو الانتماء العربى ذاته، لذا هان فى سبيلها ومن أجلها كل شيء يحول دون انطلاقها، فقد هانت التقاليد، وهان الأهل والعشيرة والوالد، لأن تلك العاطفة الفطرية السامقة لا تسمح بطبيعتها، لغيرها من العواطف أن يزحمها، وقريب من التوجه العام لعبلة كان البناء الدرامى للأميرة بثينة التى لم يقف فى طريق عروبتها فى ذلك الوقت خطر خارجى بقدر ما كان الخطر منبثقا من داخل البيت العربى نفسه، ورعاية التقاليد فى ظروف كهذه جزء هام من أجزاء تماسك الهيكل الاجتماعى للأمة.

وصبغة الاختيار هذه تنتظم مسرحيات شوقى فى عقد واحد متجانس، فقد اختارت عبلة عنترة مضحية بالوالد فى سبيل أنبل العواطف العربية كما سبق القول، واختارت ليلى وردا رعاية للعروبة فى مقوم من مقوماتها هو الحرص على القيم الاجتماعية التى كانت مرعية آنذاك، واختارت الأميرة بثينة ابن تاجر من عامة الشعب إشارة إلى ضرورة انتقال المسؤولية وتحمل عبء الدفاع عن البلاد إلى هذه الطبقة الشعبية التى ينتمى

---

(١) أميرة الأندلس : ص ١٨.

(٢) أميرة الأندلس : ص ٢٢.

حسون إليها بعد أن فقدت ثقتها بالطبقات العليا التى تنتمى إليها، وفى كل ما تقدم يتغنى المؤلف بالنبل العربى فى شتى صوره ومختلف درجاته، ويجعل النزعة الاستقلالية مقوما مهما من مقومات شخصه، سواء كان استقلالا فى الرأى أو الهوى توطئة لتحرر الأمة من تخلف الوعى الاجتماعى، ومن سيطرة كل أجنبى أو دخيل أو دعى فاقد الحس ضعيف الولاء.

### النزعة الاستقلالية

وقد كانت هذه النزعة الاستقلالية أهم دعائم الشخصيات ذات التوجه القومى فى مسرحية على بك الكبير الذى حاول أن يستقل بالأقاليم العربية عن الترك الذين حاربهم وانتزع من أنيابهم كثيرا من البلدان العربية متضمنا مع القائد العربى «ضاهر العمر» أحد أمراء الشام فى المسرحية وهو ينشد<sup>(١)</sup> :

وانتزعنا البلاد من قبضة الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

ويستخدم المؤلف هنا «انتزعنا» ليفيد أن الحق العربى لا يمنع ولا يستجدى ، بل ينتزع انتزاعا، ويذكر البلاد بلفظ الجمع الدال على أن المقصود بلاد العرب كلها ويرى أن أى تحالف مع غير عربى فسوق ، والمقصود به هنا الخروج عن العروبة . وكما دعا إلى الثورة على الأجنبى المغتصب والحكام المتعاونين معه ، ألحق بهما من يهملون شأنا من شؤون الأمة ، أو يغفلون عن رعاية قضاياها فى أى مستوى من مستوياتها . فالتعاون المريب مع غير العرب جريمة قومية وخلقية لا يعدها إثم .

وهذه القضية أثارها شوقى فى كل من مسرحيته : أميرة الأندلس؛ وعلى بك الكبير، فالأميرة بنشبة - التى حملها شوقى رسالة قومية كما سبق القول - تثور فى وجه قضاة الأندلس وفقهائه الذين يعلقون سعادة الأندلس وخلص بالقائه فى أحضان

---

(١) على بك الكبير : ص ٩١.

جيرانه سلاطين المغرب<sup>(١)</sup> الذين تربطهم بعرب الأندلس راطبة الدين لكنهم ليسوا عربا فى رأى غالبية أهل البلاد المتطلعين إلى أى أمير عربى قوى يلقون إليه مقاليد أمورهم . وحين يتقدم سلطان المغرب يجد مقاومة عنيفة لأنه ليس من الحق أن يغتصب جماعة من المسلمين أوطان جماعة غيرهم من المسلمين . لأن الوطن كالبیت فى قداسته<sup>(٢)</sup> ولأن زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين لا يفهم كلام العرب وعند رأسه ترجمان يفسر له ما نقول با معشر العرب<sup>(٣)</sup> والغيرية المذكورة فى قوله غيرهم سببها أن يوسف بن تاشفين لا يشارك أهل الأندلس عروبتهم ولغتهم فهو أجنبى عن الأسرة العربية فى رأى غالبية القوم فى ذلك الموقف.

### لمن الولاء؟

من خلال الصراع بين هذين التوجهين، آثار شوقى قضية بالغة الخطورة والصعوبة والتعقيد فحواها لمن الولاء ؟ أهو للمسلم أيا كان ولاؤه وتعصبه العرقى ، أو للمسلم العربى ؟ وهى قضية تثار كلما انحاز غير العرب لأصولهم البعيدة ، وحاولوا حرمان العرب من مثل هذا الذى فعلوا.

وقد بدأت هذه الخطورة تطل بنارها على الحياة العامة منذ أن تسلل الفرس إلى بلاط بنى العباس وتعصبوا لبنى جنسهم ، واستمر حرمان العرب من ممارسة حقهم الطبيعى فى السيطرة على خلافتهم طوال الفترة التى تسبق فيها الأعاجم، من الفرس أو الترك ، عرش العروبة.

وكما آثار شوقى هذه القضية فى مسرحية « أميرة الأندلس » جعلها محورا مهما من محاور الصراع فى « على بك الكبير » سواء الصراع الداخلى أو الخارجى ، وقال

---

(١) أميرة الأندلس : ص ٢٢ . (٢) أميرة الأندلس : ص ٢٣ .

(٣) أميرة الأندلس : ص ٢٢ .

رأيه فيها بوضوح تام ، وموقف على بك الكبير من أبى الذهب يمثل فى جانب من جوانبه شيئا من طبيعة هذا الصراع لأن أبا الذهب ، بالترك لاذ ويطل ، المسرحية يفرض أن يتحالف العربى مع أى طرف آخر لا يشاركه عرويته مهما كانت الروابط الأخرى التى تربطنا به . فعاطفة العروبة عند شوقى مقدمة على سواها من العواطف سواء كانت تلك العواطف ذاتية خاصة، أو اقليمية ضيقة . وأبطاله وشخصه لا يعرفون غير العروبة فى معناها العام وأرضها الرحبة وطننا لهم، وديارها ديارهم ، وأموالها أموالهم ودمائهم دماؤهم وعرضها عرضهم<sup>(١)</sup> إيماننا منهم بتلك الأمة المتميزة بلغتها وخصائصها الأساسية وتقديرا لبطولاتها وانجازاتها عبر العصور ، وقدرتها على الإبداع والتجديد فى الحاضر والمستقبل.

### الولاء العربى الإسلامى

فالولاء عند شوقى واضح لا لبس فيه ، فهو للعروبة أولا ثم للمسلمين من غير العرب، وقد ترجم ذلك عمليا من خلال حياة صاحب بن عباد الذى كان ولاؤه للعروبة فى المشرق أو المغرب مقدما على ولائه لبربر المغرب كما كانوا يسمونهم وقتذاك ، وحين كان محاصرا بين ملك الأسيان وسلطان البربر، سئل أى السلطانين تختار ، سلطان المغرب أم ملك الأسيان ؟ فأجاب أرعى الجمال لأمير المؤمنين ولا أرعى الخنازير لملك الأسيان<sup>(٢)</sup> ومثل ذلك فعل على بك الكبير الذى اختار الترك على الروس ، ثم انحاز للعرب ضد الترك، وترجم ذلك عمليا حين لاذ ربيبه بالأترك وعمل معهم للتخلص من سيده الذى حاول انتزاع البلاد العربية من مخالبيهم ، ونجح الدخيل والدعى فى خلع الوالى الشرعى والاستيلاء على ملكه فى مصر وهو بالشام يقتلع من الترك آخر معاقلهم فى بلاد العرب، وأصبح الرجل مخلوعا طريدا لا ملاذ له إلا دار القائد العربى «ضاهر العمر» فى هذه الظروف العصيبة وهو يبحث عن ملجأ ونصير يأتيه مالا يحلم به قائد فى

(٢) أميرة الأندلس : ص ٨١.

(١) على بك الكبير : ص ٨٣.

مثل موقفه تقطعت أسبابه وغلقت سبله من ناحية، ولأن ما أناه كان من قوة كبرى قادرة على نصرته من ناحية أخرى، وقد جاءه هذا العرض يسعى إليه على لسان قائد الأسطول الروسى الذى دعاه إلى (١) :

سفن القيصر العظيم قصور لك إن شئت زينت ومغان

ويسوق المؤلف العرض على هذ الصورة المغرية التى أسند فيها السفن إلى القيصر نفسه، ونعته بالعظيم، وذكر قصورا ، والرجل يحاول استرداد قصر واحد، وعبر باللام والكاف الدالين على الملكية المطلقة، وجعل مشيئة هذا المخلوع الطريد هى الفيصل ، وبني الفعل (زينت) للمجهول وكأن فى مجرد تشريفه تمام زينتها، أو كأن الروس جميعها اشتركوا فى تجميلها لاستقباله ، وذيل بكلمة مغان وهى المنازل التى قام صاحبها على الاعتناء بها، وغير ذلك ما يدغدغ عواطف السلطان المخلوع ، ويثير شوقه إلى قصوره فى مصر ومغانيه التى شيدها هناك .

### رفض العون الأجنبى

وكل هذه المغريات وغيرها لم تنل من موقفه الراضى عون الأجنبى أوتؤثر فى قراره الإقامة عند أخيه العربى، ولم يكن ذلك القرار قابلا لمساومة، لذا رد بكل اعتزاز وإباء (٢) :

إنا فى دار مسلم عربى مانع الجار مكرم الضيفان

فهو يعتز بإقامته فى دار عربية، ويشيد بما للعرب من خلال أبرزها فى مثل موقفه حماية المستجير، وإكرام الضيف، وكأنه حين يلوح بهاتين الخلتين فى وجه القائد الروسى ينفيهما عن غير العرب كما أنه يشهر سلاح الإسلام والعروة معا لأن الطرف الآخر غير مسلم وغير عربى، ويقدم الإسلام على العروة هنا لأن القائد الروسى جاء

---

(١) على بك الكبير : ص ٨١ . (٢) على بك : ص ٨١ .

يستعديه على الترك المسلمين . وحين يكون طرفا النزاع الترك والعرب فالعروبة مقدمة على ما سواها ، كما سيأتى بيانه .

وحين وجد القائد الروسى أن كل ما قدمه من مغريات وما فيها من إثارة العواطف وتهيج المشاعر قابل بمثل هذا الرفض ، بدأ يخاطب عقل على بك الكبير موازنا بين ما لدى الروس من قوة قادرة على إعادته إلى ملكه ، وما عند «ضاهر العمر» من إمكانيات محدودة لا تقوى على مواجهة الترك ، وقد تلطف فى الخطاب هذه المرة تقريبا وتوددا - فناده<sup>(١)</sup> :

سيدى ألق ضاهرا وتقلد      نجدة القيصر العظيم الثانى  
لا ترومن بالعصا ملك مصر      واطلب الملك بالحسام اليمانى  
كيف تبغى سير مصر بشيخ      بدوى بصارم وحصان

ولم يثر ذكر القيصر عظمته وما ملكت يمينه ، ولا ملك مصر ، وهو عزيز لديه أثير عنده ومن أجله خرج مهاجرا يبغى النصير ، لم يصب ذلك كله هزة فى نفسه ، بل أضرب صفحا ، وأشاح بوجه محدثه ، وهب واقفا يدفع عن أخيه العربى ما تقول به هذا القائد الأجنبى ، ويثار لكرامة السلاح العربى ، وإن كان المؤلف لم يوفق فى إثارة هذه الغضبة بتعبئة الشخصية وشحنها بطاقات هائلة من الغضب تبرر ثورتها ، حيث أجرى على لسان القائد الروسى ما ظنه قدحا فى السلاح العرب ، فذكر الحسام والصارم وكلاهما ؟ امتداح للسيف ، بل إن الصارم الذى سبق فيما يشبه السخرية يعطى من المديح مالا يعطى الحسام ، وذكر الحسام اليمانى على لسان هذا الأجنبى لا يتفق مع الموقف ولا يتناسب مع شخصية المتحدث . ومع ذلك ثار على بك الكبير مؤكدا أنه سيسترد ملكه لا بجند القيصر بل<sup>(٢)</sup> :

(٢) على بك : ص ٨٢ .

(١) على بك : ص ٨٢ .

بكریم من الرجال أبى      عبقرى الوفاء والإحسان

فزن القول با نبیل وأمسك      لا تنل ذكر صاحبى بهوان

فهو يشهر فى وجه هذا القائد أسلحة خالصة، قوامها الرجولة وكرم الفعال والمحتد ، والإباء والعبقرية والوفاء والإحسان، وتلك أسلحة لا غنى لمقاتل شريف عنها، ثم يأمر القائد الروسى وينهاه عن ذكر ما يشين وكأنه يقول له : تأدب يا هذا ، وفى نعته له فى الموقف بأنه نبيل ما يؤدى عكس الصفة، إذ معناه لو كنت نبيلًا حقًا كما تزعم لما حدث منك ما حدث ، وفى هذا ما فيه من التهكم الذى زاد من إيلاسه عدم تصريح المؤلف به.

وحين يواجه القائد الروسى بهذا الدفاع العنيف يعتذر عما بدر منه، وأنه ما قصد النيل من أحد، لكنه يرمى إلى «خير الأعوان» وأن الأسطول الروسى هو أفضل عون وأعظم سند، وهو وحده القادر على نجدة، فيجيبه على بك الكبير<sup>(١)</sup> :

ما النجدة الحق إلا صاحب دمه      عند البلاء دمی وماله مالى

أخ كريم كعرق التبرخلته      لم أسق من وده إلا بسلسال

وعرضه عندى الغالى وإن بعدت      به الديار وعرضى عنده الغالى

فهو يعيد على مسامع القائد الروسى مقومات العروبة التى لخصها فى وحدة الدم والأرض والعرض والمصير ، وجعل المال العربى فى خدمتها، وتلك روابط كثيرًا ما تتردد فى شعر شوقى كقوله<sup>(٢)</sup> :

ونحن فى الشرق والفصحى بنو رحم      ونحن فى الجرح والآلام إخوان

---

(١) على بك : ص ٧٣.

(٢) الشوقيات : ١٠٣ / ٢.

وقوله (١) :

عرب كلنا ومنطقنا الفحصى وأبأؤنا نزار وذهل

وعلى الرغم من الاحتجاج والرفض المتكرر فإن القائد الروسى يواصل إلحاحه فى كثير من الإغراءات التى تدغدغ الشيخ المخلوع وتوقظ فيه روح الحنين إلى عرشه حتى جعله يقول : الملك يا قائد الأسطول آمالى وينتهز القائد الروسى لحظة التمنى هذه فيبادر (٢) :

إذن فتلك سفن القيصر اضطجعت على فراسخ من عكا وأميال  
فاركب أميرى فيها واث مصر غدا فى الدارعين وفى الفولاذ والمال  
لعلنان ندخل الوادى معا وعسى على لوائك يفتزوا الترك أبطالى

وقد تخير الشاعر هنا عبارات القائد الروسى بدقة فائقة تجعلها تصادف هوى فى نفس على بك الحائر بين حرصه على استرداد عرشه وتمسكه بما ألزم به نفسه من خلق كريم يرفض عون الأجنبي. ولحفظ التوازن بين الحالتين بدأ شوقى عرض القائد الروسى بكلمة إذن التى تفيد الجواب، وكأنه يقول لهذا الحائر أشر نجب ، كما أنه جعل الأسطول الروسى فى اضطجاع، وهى حالة ذات شقين ، شق قوامه الثقة والدلال ، وآخر عماده الأمن والاطمئنان، واستبعاد الخوف عن بلاد العرب متمثلة فى «عكا» وأكد بعد الخطر حين أشار إليها بتلك التى هى للبعيد، ونكر كلا من الفرسخ والميل، ثم جمعهما، وتلك أدوات فى البناء ساعدت كثيرا على مدى تصور ابتعاد الخطر . كما أنه طمأن المستغيث إلى قوة النصير وحسن اختيار الحليف بذكره الدار عين والفولاذ والمال والأبطال، وأيقظ عواطفه التواقة إلى سرعة العودة لمصر وإمارتها وأرضى كبرياءه حين جعل الناس كلهم يعملون تحت لوائه لا لواء القيصر أو غيره، كما خفف من وقع الغزو

(٢) على بك : ص ٨٣.

(١) على بك : ص ١٠٦.



على نفس القائد الغيور الحذر بذكر المصاحبة فى «ندخل معا» وباستخدام التمنى والترجى فى «لعل وعسى» وبرره بأنه غزو للترك لا لمصر ، وصاحبها خارج عن الترك نأثر عليهم وعلى سلطانهم فى بلاد العرب كلها. وكما واكبت دلالة الكلمات والتركيب الحالة النفسية بكل أبعادها المضطربة، إنسابت الموسيقى محدثة التمرجات الصوتية التى رافقت النفس فى انقباضها وانبساطها، والضغط عليها أو تملقها، متنقلة بين ما يشبه قرع الطبول فى قوله: «إذن فتلك سفن القيصر» وقوله فى «الدارعين وفى الفولاذ» وقوله «يغزو الترك أبطالى» وبين مستويات صوتيه آخر تدرج فيها النغم منسابا من الشطر الثانى فى البيت الأول إلى الشطر الأول فى البيت الثانى إلى أن وصل إلى درجة من السلاسة تكاد تكون همسا فى الشطر الأول من البيت الثالث .

وقد حاصر المؤلف بطل روايته بتلك الإغراءات والضغط المادية والنفسية التى قصد بها الكشف عن صلابه من يحمل الراية العربية حين يجد نفسه فى موقف تصطدم فيه مصالحه الذاتية مع الآمال الكبرى لأمته، وقد فجر هذا الحصار صراعا نفسيا هائلا بين حبه الملك وحرصه على نبل الفعال ، وقد أجرى المؤلف هذا الصراع عن طريق نجوى الذات أحيانا والإفصاح عما بداخل الشخصية لبعض خاصتها حيناً آخر<sup>(١)</sup> وتلك وسائل درامية خالصة للكشف عن مثل هذا الصراع الذى تنقل به المؤلف من حالة إلى أخرى من حالات بسط النفس أو انحسارها إلى أن اتخذ البطل قراره النهائى مغلبا مبادئه التى آمن بها على مصلحته الخاصة واستدار إلى نفسه التى راودته بينهاها<sup>(٢)</sup> .

لا يا على اسمع نهاك ولا تصمخ      لو ساوس الشهوات والأحقاد

لا ترم بالروس الشداد جماعة      ضعفاء مهزولين غير شداد

وكان قراره هذا معبرا عن ذاته ومتسقا مع بنائه الدرامى، كما كان تعبيراً صادقا

---

(١) على بك : ص ٨٤-٩٠ . (٢) على بك : ص ٨٨ .

عن رغبة عامة أنصاره الذين رفضوا - أيضا - العرض الروسى وحشوا قائدهم على الاستنصار بالأقربين من عرب الشام، وحين يقر قرار القوم على رفض العون الأجنبى والاعتماد على العون العربى دون سواء ، يتقدم الزعيم العربى ضاهر العمر وهو يقول<sup>(١)</sup> :

قد سمعت الذى جرى ولمس      ت الفضل والتبل والسجايا الطواهر  
عزوتى سيد ونفس ومالى فى      الذى شئت ما الذى أنت أمر  
نحن ألفان يا أميرى على الأرض      وألفان فى متون الضوامر  
ومعى مدفعان من سلب الترك      وتل من السيوف البواتر  
والمواشى كثيرة فى ضياعى      والطريق الطويل بالخير عامر  
كل شىء كما تحب مهيا      فمتى الظعن سيدى مر نسافر

وتقديم العون بهذا الشكل الذى صاغه المؤلف له دلالات عديدة، منها أن الزعيم العربى ضاهر العمر هب لنجدة أخيه ولم يدعه داع ، فجنبه عبء المساءلة، وتلك شيمة عربية وخلق عال لا يدانيه خلق، كما أنه بدأ بالإشارة بما لصاحبه من فضل وتبل وخلال حيمدة، وخاطبه بسيدى وأميرى عدة مرات، ولم ينعته بمجرد السيادة أو الإمارة فقط، كما جعل له المشيئة المطلقة والأمر النافذ ، وجعل نفسه مجرد مأمور يلبى ما يملى عليه، وجاد بالنفس قبل المال، ولم يبالغ فى قوته أو ينل من قدرة غيره، أو يلمح إلى كسب هنا أو مغنم هناك ما فعل القائد الروسى؛ لأن المال العربى لا ينبغي له أن يجر نفعا حين يكون فى خدمة العروبة وقضاياها الكبرى. كما أن الموسيقى هنا خلّت من تلك النبرة المتعالية التى سمعناها فيما قاله القائد الروسى، وجاءت هادئة لتشعر بتواضع الزعيم العربى الذى سماه المؤلف « ضاهر العمر » وفى الأول ما فيه من العزة والمنعة إذ

هو أعلى الجبل، وفي الثاني ما يذكر بأمجاد الأمة أيام عمر بن الخطاب وانطلاق جيوشها من بلاد الشام صوب إفريقية. وهذه ذكرى ، وذاك عرض ، وتلك سجايا وخلق عربى جعل «على بك» لا يتردد لحظة ولا يناقش، وهو الذى أطلالت التفكير - قبل ذلك - فى العرض الروسى ، ومحض النفس واستشار الصاحب، لكن شيئا من ذلك لم يحدث هنا ؛ لأن النصير عربى، والمال عربى والرجال كذلك، لذا هتف وهو يكاد يرقص طربا<sup>(١)</sup> :

غدا الظعن يا أخى قم تأهب إنما الغنم للخفيف المبادر

عندئذ يهتف الزعيم العربى ضاهر العمر : «عرب الشام تلك مصر دعيتكم» فتجيبه سهول الشام وأوديتها وجبالها مليية : «ألف لبيك مصر ، لبيك ضاهر» ويقدم المؤلف تليبتهم دعوة مصر على غيرها، فهم خارجون لها لا لحاكمها أو قائدهم، كما أنه يخاطب القوم بأعز لقب لديهم وهو قوله «عرب»، وفيه ما فيه من الإيثار والالتزام والتضحية والفداء، وما يشيره من نجدة ونخوة وأخوة، كما أنه صاغ النداء فى عبارة خاطفة مختصرة، فكان مجرد إشارة سريعة أفادت سرعة استجابة العربى لأية دعوة عربية مخلصه، كما جعل «ضاهر العمر» يشير إلى مصر بقوله «تلك» وهو اسم إشارة يفيد من التفخيم والإعزاز والإكبار وسمو المكانة ما لا يفيد غيره، وكثيرا ما استخدمه القرآن الكريم إشارة إلى عظام الأمور. وكذلك لم يشر إلى الداعى الحقيقى وأُسند الدعوة لمصر نفسها ؛ لأنه يعلم مدى إعزاز عرب الشام لهذا الاسم وما يبعثه فى نفوسهم من إحياءات مشرقة وظلال ساطعة، وجعل طلب العون دعوة، وكأن الطالب هو المتفضل مراعىا بذلك شعورا إنسانيا هو الحفاظ على كرامة المستغيث، وذلك أمر يفرضه الخلق العربى الذى لا يمن ، ولا يستكثر .

---

(١) على بك : ص ٩١.

## الخلق العربي :

هذا الخلق الذى ملأ شوقى أشعاره تغنيا به وإعجابا، سواء فى ترجمته إلى سلوك حياتى من خلال افعال ومواقف الشخصيات العربية، وأو جيريانه - إعجابا وامتداحا - على ألسنة المنصفين من غير العرب، كما رأينا ذلك فى بعض أقوال القائد الروسى ، وبعض نبلاء الأسبان ، وفيما تفوه به محمد أبو الذهب من ثناء على أسيره ضاهر العمر، حين تقدم به جنده مكبلا فصرخ فيهم مستكرا<sup>(١)</sup> :

ما أرى ؟ ضاهر يساق أسيرا أنت من ذاك يا أمير أجل

ثم امتدح وفاءه ونجده وشجاعته، كما تغنى بسيفه العربى وحرمة .

أما فيما يتعلق بترجمة الخلق العربى إلى سلوك عملى وطابع حياتى متميز، فإن شوقى يضع أبطاله فى مواقف عصيبة وواقع مظلم لتتلأ فى ظلماته كواكب القيم والخلق العالى كما فعل مع على بك، وضاهر العمر وهو تحت وطأة الأسر نتيجة إيوائه على بك ومناصرته، وهى فعال لم ينكرها أو يعتذر عنها أمام من خرج إليه مقاتلا، بل جاهر بحرصه على حماية من استجاره، معلنا أنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما فعل غير الذى فعل، ولو فك من أسره لأشهر سيفه فى وجه من ينال ممن استصرخه ولجأ إليه، ثم يطلب الأمان لمن لاذ به قبل أن يتعرف مصير نفسه قائلا : «مالى اليوم غير ضيفى شغل»<sup>(٢)</sup> هذا الضيف الذى التقى معه على كره الأجنبى وقتال المتحالفين معه وتخویر العرب منهم، وخرج تحت لوائه مقاتلا فى غير موطنه الأصلى، وهو أمر استنكره عليه محمد أبو الذهب حليف الترك وأشار إليه من طرف خفى متسائلا :

من فلسطين أنت ضاهر ؟ أم من أرز لبنان ؟ أم لك الشام أصل ؟

وكأنه يريد أن يقول : إذا كنت من واحدة من هؤلاء فمالك والآخريات ؟

(٢) على بك : ص ١٠٧ .

(١) على بك : ص ١٠٦ .

أو كنت منهم جميعا فما الذى جعلك تقاتل دون عرش مصر وتؤسر فى سبيلها ؟  
وقد فطن ضاهر العمر إلى ما يرمى إليه أبو الذهب، وهو تصنيف الأقاليم العربية بغية  
تفرقها فأجاب بما يؤكد وحدة الأرض واللغة والجنس والمصير:

عرب كلنا ومنطقنا الفصحى وأباؤنا نزار وذهل

فهو يجاهر بما خرج من أجله ويستمسك به ويفاخر، ولا يعطى الدنية فى عرويته  
مهما جر عليه ذلك من متاعب كادت تودى بحياته، لكنها لم تنل من عزيمته أو  
تضعف من إيمانه بعرويته .

ومثل هذا الموقف تتكرر فى حياة أبطال شوقى ليكشف عن جوهرهم كما هو  
واضح هنا، وكما نجده فى حياة الصاحب بن عباد الذى ثار فى وجه رسل ملك  
الأسبان حين بدرت منهم إساءة على الرغم مما سيجر عليه ذلك من متاعب، وعلى الرغم  
من توسل سفير الملك وطلبه العفو «ألا تعفو أيها الملك الكريم، فهم يقولون إن العفو  
شيمتكم معشر العرب» (١) فيجيبه الملك «إن العفو شيمتنا فى كل شىء إلا ما مس  
الشرف والكرامة» ويتنقم ممن أساء إليه ويعلم ذلك، كما يأمر نبلاء الأسبان أن ينقلوا إلى  
ملكهم ما سمعوا وما رأوا ، ويذيعوا «ذلك ليعلم الناس هناك أن الأسد العربى لا يشتم  
فى عرينه، وأنه لو غلب على غابته حتى لم يبق له منها إلا قاب شبر من الأرض ، لما  
استطاعت قوى الإنس والجن أن تنفذ إلى كرامته» (٢) وحين اقتحم العدو الإسباني  
مدينته وحوله مائة فقط من الفرسان العرب، لم يجد أنشودة يتغنى بها أفضل من أمجاد  
الأجداد الذين فتحوا هذه البلاد ، فحمل سيفه وانطلق إلى ملاقات الأعداء وهو  
ينشد (٣) :

شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

(١) أميرة الأندلس : ص ١١٩ . (٢) أميرة الأندلس : ص ٤٦ .

(٣) أميرة الأندلس : ص ١١٩ .

وهكذا تجد أن شوقي ملأ أشعاره ومسرحياته اعتزازاً بالعروبة وخلقها وقيمها ، وتغنى  
بأمجادها واشاد برجالها ، وتمثل صفاتها وجعلها عالماً للثالي الذي تمثله دائماً وراح  
ينسج على منواله ، وكما تفاخر بمدى الحضارى ، حزن أشد الحزن على فترات الانحسار  
فى تاريخ الأمة ، وجسد آلامها ورسم آمالها ، وشخص الأدواء التى عاقت مسيرة تاريخنا  
الحضارى العظيم لتجاوزها والانطلاق إلى مستقبل أفضل ، حتى ليكن القول إن العروبة  
هى المفتاح الأول لفهم فكر شوقي وفلسفته .

\*\*\*

## قائمة الأبحاث

### التي صدرت فى الأجزاء السابقة

#### من سلسلة « دراسات عربية وإسلامية »

##### الجزء الأول :

- \* قراءة فى الترجمة العبرية لمعانى القرآن الكريم د. عبد الرحمن عوف
- \* من قضايا المنهج فى علم الكلام د. حسن الشافعى
- \* المضاربة بمال الوديعة أو القرض فى الفقه الإسلامى د. أحمد يوسف
- \* مفهوم السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية أ.د. مصطفى حلمى
- \* التجربة الأخلاقية عند ابن حزم الأندلسى د. حامد طاهر
- \* دراسة الواقع اللغوى أساس لحل مشكلات اللغة العربية فى التعليم أ.د. السعيد بدوى
- \* فاعلية المعنى النحوى فى بناء الشعر د. محمد حماسة عبد اللطيف
- \* الواقعية ما هى ؟ دراسة تطبيقية لقصص المدرسة الحديثة أ.د. حمدى السكوت
- \* قضية التأثير على شعراء التروبادور د. أحمد درويش

##### الجزء الثانى:

- \* مفهوم التطور فى الفكر العربى د. محفوظ عزام
- \* تحليل ظاهرة الحسد عند الحارث المحاسبى د. حامد طاهر
- \* التأمين فى الفكر الفقهى المعاصر أ.د. محمد بلتاچى
- \* تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أ.د. أحمد طاهر حسنين
- \* تعدد أوجه الإعراب فى الجملة القرآنية د. محمد حماسة عبد اللطيف
- \* تقسيم جديد لتاريخ الأدب العربى . بلاشير-ترجمة د. أحمد درويش
- \* المرایا الشعرية لدى نازك الملائكة أ.د. محمد فتوح أحمد
- \* موقف نقاد الرومانسية من شعر شوقى أ.د. طه وادى
- \* قضية ترجمة الشعر أ.د. رجاء جبر

### الجزء الثالث:

- \* تأثير الفقه الإسلامى فى القانون الإنجليزى
- \* ابن باجه وفلسفة الاغتراب
- \* ظاهرة البخل عند الجاحظ
- \* العناصر الفكرية والفنية فى رسالة الغفران
- \* قضية زواج المرأة فى الخليج من خلال الشعر العربى
- \* النقد الجديد وفلسفة العصر

### الجزء الرابع:

- \* أ.د. أحمد مختار عمر
- \* أ.د. عبد المقصود عبد الغنى
- \* أ.د. محمد عبد الحميد رفاعى
- \* ترجمة د. حامد طاهر
- \* د. علاء القنصل
- \* أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف
- \* د. سلوى ناظم
- \* د. أحمد درويش
- \* القراءات القرآنية : رؤية لغوية معاصرة
- \* تجديد الفكر الإسلامى عند محمد إقبال
- \* انتشار الإسلام فى الهند
- \* بناء مصر الحديثة : محاضرة مبهولة لظه حسين
- \* احتكاك العرب بالسريان وآثاره اللغوية
- \* اللغة العربية ودور القواعد فى تعليمها
- \* أثر المبرد فى النحو العربى
- \* نظرية النظم عند عبد القاهرة الجرجانى

### الجزء الخامس:

- \* أ.د. محمد عبد الهادى سراج
- \* د. عبد التواب شرف الدين
- \* د. حامد طاهر
- \* أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف
- \* د. رفعت الفرنوانى
- \* انطون شال- ترجمة د. سعيد بحيرى
- \* أ.د. أحمد طاهر حسنين
- \* أ.د. يوسف نوفل
- \* د. حسن البندارى
- \* عقوبة السجن فى الشريعة الإسلامية
- \* الوثائق الإسلامية
- \* حركة التأليف فى العالم العربى المعاصر
- \* حركة الروي فى القصيدة العربية
- \* الأصوات وأثرها فى المعجم العربى
- \* الثروة اللغوية العربية
- \* نظرية الاكتمال اللغوى عند العرب
- \* منهج شوقى ضيف فى الدراسات الأدبية
- \* قراءة القصة القصيرة



## الجزء السادس :

- \* صراع مع الطبيعة أو صراع مع الفن
- \* العنصر المهمل فى حركة التجديد الشعرى
- \* استدعاء الشخصيات التراثية الهندية فى منظومة جاويد نامة
- \* التحليل النصى للقصيدة : نموذج من الشعر القديم
- \* الفلسفة الإسلامية فى العصر الحديث
- \* الوظائف اللغوية للزوائد فى النحو العربى
- \* قضية تأويل القرآن بين الغزالى ومعاصره
- \* حديث عيسى بن هشام
- \* العلمانية والمنظور الإيمانى
- \* تكوين النص الشعرى عند حازم القرطاجنى
- أ.د. محمود الربيعى
- أ.د. عبد الحكيم حسان
- أ.د. محمد السعيد جمال الدين
- أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف
- أ.د. حامد طاهر
- د. محمد صلاح الدين بكر
- د. محمود سلامة
- د. عصام بهى
- د. عبد الرازق قسوم
- د. حسن البندارى

## الجزء السابع :

- \* إعداد الداعية المتقى
- \* المنهج الإسلامى فى التنمية
- \* إحياء الفلسفة بين مصطفى عبد الرازق ومحمد إقبال
- \* العلاقات الإسلامية البيزنطية
- \* حركات التجديد الدينية ودورها فى نشر الحضارة الإسلامية
- أ.د. حسن الشافعى
- أ.د. يوسف إبراهيم
- أ.د. حامد طاهر
- أ.د. عليه الجزورى
- فى غرب أفريقيا
- \* الإنتاج الفكرى وحق المؤلف
- \* محاولات التيسير فى النحو العربى ( القسم الأول )
- \* الثنائية فى الفكر البلاغى
- \* نظرية الأخذ الفنى عند حازم القرطاجانى
- أ.د. عبد الله عبد الرازق
- أ.د. شعبان خليفة
- أ.د. صلاح روى
- أ.د. محمد عبد المطلب
- د. جسن البندارى

## الجزء الثامن :

\* نحو استكمال علامات الرسم الإملائي فى القرآن الكريم

أ.د. محمد حميد الله

ترجمة: د. محيى الدين هلتاجى

\* أضواء جديدة على تفسير سورة يوسف من خلال

أ.د. رمضان السيد

اللغة المصرية القديمة

د. نازك زكى

\* رؤية الجهرتى للحركة السلفية فى مصر وشبه الجزيرة العربية

أ.د. حامد طاهر

\* الترجمة ودورها فى الفكر العربى

أ.د. صلاح الدين أبو بكر

\* المنهج فى كتاب سيبويه

أ.د. صلاح راوى

\* محاولات التيسير فى النحو العربى ( القسم الأخير )

د. رفعت الفرنوانى

\* المصطلح ودلالته فى الدرس الصوتى عند العرب ( القسم الأول )

أ.د. عبد الحكيم حسان

\* التراث والأصول الأوربية للحدائنة

د. حسن البندارى

الناقد المتخصص وتوثيق الشعر عند ابن سلام

## الجزء التاسع :

\* تذوق ابن قتيبة للنظم القرآنى

أ.د. منير سلطان

\* نحن وقضية التراث الفلسفى عند العرب

أ.د. عاطف العراقى

\* خمس مشكلات حقيقية أمام الفلسفة الإسلامية

أ.د. حامد طاهر

فى العصر الحاضر

د. رفعت الفرنوانى

\* المصطلح ودلالته فى الدرس الصوتى عند العرب ( القسم الأخير )

أ.د. صبرى إبراهيم السيد

\* محاولات تيسير النحو العربى

أ.د. الطاهر أحمد مكى

\* نحو أدب إسلامى مقارن

أ.د. أحمد درويش

\* عبد الله الطائى وآفاق الشعر المعاصر

أ.د. توفيق الفيل

\* عمود الشعر فى المصطلح النقدى

## الجزء العاشر :

- \* موقف الفكر الإسلامى من الفلسفة اليونانية
- \* المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة
- \* فلسفة التاريخ الإسلامى
- \* صعوبات فلسفية فى كتاب سيبويه
- \* مظاهر معاصرة الجيلين لدى شيوخ شعراء الخليج
- \* ملامح الشاعر بريشة القصاص

## الجزء الحادى عشر :

- \* مشكلة التخلف الحضارى عند المسلمين
- \* تصنيف العلوم عند العرب
- \* جهود الشيخ أبو زهرة فى تطوير الدراسات الفقهية
- \* اللغة العربية بين المدرسة والجامعة فى دولة الإمارات
- \* صور الثقافة والتربية فى الأدب العربى القديم
- \* التشكيل الفنى للشعر بين الالتزام الاجتماعى والصدق النفسى
- \* شعر المناسبات ( نظرة منصفة )

## الجزء الثانى عشر :

- \* المنهج العلمى التجريبى فى الحضارة الإسلامية
- \* الإسلام من وجهة نظر المسيحية
- \* توظيف العلوم الطبيعية فى بناء علم كلام إسلامى
- \* العلاقة التاريخية بين الأفغانى وناصر الدين شاه
- \* الشخصية العلمية الموضوعية فى البحث
- \* النقود الإسلامية فى الأندلس
- \* نحو الكلام ، لا نحو اللغة
- \* تقويم برنامج التعليم الجامعى الأساسى
- \* منهج شوقى ضيف وآراؤه فى التعليم

- أ.د. محمد شامه
- أ.د. حامد طاهر
- أ.د. عبد الحميد إبراهيم
- أ.د. عبد الرحمن أيوب
- أ.د. أحمد درويش
- د. إخلاص فخرى عمارة
- أ.د. حامد طاهر
- أ.د. عاطف العراقى
- أ.د. محمد أحمد سراج
- د. أحمد طاهر حسنين
- أ.د. أحمد درويش
- د. محمود محمد عيسى
- د. إخلاص فخرى عمارة
- أ.د. عمار الطالبى
- ل. جارديه -
- ترجمة أ.د. حامد طاهر
- د. رزق الشامى
- أ.د. مريم زهيرى
- أ.د. محفوظ عزام
- خيمى بروسى
- ترجمة أ.د. عبد الله جمال الدين
- أ.د. أحمد كشك
- أ.د. على الشرهان
- أ.د. على الحديدى

### الجزء الثالث عشر :

- \* حق الإنسان فى مستوى لائق من المعيشة بموجب الإسلام
- \* ولاية الفقيه ونظام الحكم فى الإسلام
- \* نظرية المعرفة عند الفارابى
- \* القاهرة الكبرى : دراسة فى جغرافية المدن
- \* دليل عملى لطلاب الدراسات العليا
- \* التداخل بين النحو وعلم المعانى
- \* حاضـر الوضع الأدبى فى مصر
- \* تنوع الحكم التصورى فى النقد العربى القديم

### الجزء الرابع عشر :

- \* أحكام الشريعة بين الثبات والتغير
  - \* الإباضية : الطائفة والمذهب
  - \* دار العلوم : رائحة على مبارك
  - \* الثقافة فى التلفزيون بين الأصالة والمعاصرة
  - \* القيمة اللغوية لمصانص ابن جنى
  - \* إشكالية الفكر والفن
  - \* الليالى : سيرة حياة وتجربة إنسان
- أ.د. محمد شوقي الفنجرى
  - د. أمية أبو السعود
  - أ.د. عبد الفتاح الفاوى
  - أ.د. جمال حمدان
  - أ.د. حامد طاهر
  - أ.د. محمد فتيع
  - أ.د. حمدي السكوت
  - أ.د. حسن البندراوى
  - د. محمد المنسى
  - أ.د. عبد الفتاح الفاوى
  - أ.د. حامد طاهر
  - أ.د. سامية أحمد على
  - د. حسام البهنسارى
  - أ.د. صلاح رزق
  - أ.د. ماهر حسن فهمى